تشارلز دالريمبل بلجريف

مستشار قديم .. في البحرين

بقلم : روبرت بلجريف ـ لندن

« لا تدع بلجريف يرحل فلن تجد من يساعدك ضد الانجليز » تلك كانت الرسالة التى تلقاها الشيخ سلمان من الملك سعود فى بداية عام ١٩٥٦ . والظروف التى دفعت ، ليس فقط المصريين ـ ولكن ايضا وزارة الخارجية البريطانية ، لأسباب خاصة بهما ، على ابعاد المستشار البريطانى عن البحرين ، لا تهمنا هنا . والذى يهمنا هو حالة الرجل البريطانى الذى ظل طوال ٣٠ سنة من العمل كمستشار وكناصح لحاكم البحرين ورئيس وزرائه ، وكرئيس للمالية ، وكرئيس للبوليس وكقاض ، استطاع ان يستجيب لمثل هذه الرسالة من ملك دولة عربية مجاورة . كيف وصل الى البحرين أولا ، وماذا كان دوره فى تاريخ البحرين فى السنوات المبكرة هنا ؟

وفى البداية اشير الى ان عقد مؤتمر البحرين عبر التاريخ يعد خطوة هامة فى تاريخ البحرين ، منذ ان عادت للعمل فى التأريخ . واعتقد انه شعور باليقظة والتفهم لتاريخها الخاص . والخير فى ان تجد دولة طريقها قدما من خلال مجرى الاحداث حلوها ومرها . وعندما وصلتنى الدعوة للمؤتمر كنت قد بدأت فعلا فى البحث عن كتاب خاص بالمستشار ـ كما كان يعرف بهذا الاسم فى البحرين ـ ليكون كقاعدة


تشارلز بلجريف

للبحث واعنى بذلك مفكرته اليومية الخاصة وقد حصلت على تصريح لاستعمالها فى هذا الشأن - ومصدرى الآخر الرئيسى هو الأبحاث الموجودة بالمكتبة الهندية فى لندن .

جزء من بحثى غير مكتمل ، والنقص يرجع لوجود صعوبات خاصة تواجه المؤرخ فى كتابة تاريخ وقائع حديثة . وأول هذه الصعوبات هو وجود فترة تكمن خارج البحث الشخصى لا زالت فى الذاكرة للجميع ولكن لا تمس حياة كثير منا مباشرة ذلك هو الاساس الدقيق جدا وخاصة فى هذه الحالة التى تنقصها الوثائق . والصعوبة الثانية هى طبيعة المصدر الرئيسى بالنسبة لرجل متحفظ يحمل أعباء ثقيلة ومسئوليات فى زمن مبكر جدا ، يمكن ان تصبح المفكرة مخزنا للانفعالات واحباطات الايام الطويلة مثلها مثل التسجيل السريع للانعكاسات فى الاحداث ، تلك الانعكاسات المباشرة التى يمكن غالبا ان يعاد النظر فيها مع الزمن ، وبالتالى لا اعتقد ان احدا يستطيع اخفاء الحقائق التى تلقى الاضواء على الاحداث أو الشخصيات أو روابط العصر . كذلك لا اعتقد ان احدا يبحث عن مجرد الاقتباس من أجل المبالغة فى تصور المواقف المثيرة ، وهذه هى القاعدة التى أردت ان اطبقها فى هذا البحث مع محاولة وضع خلاصة تشكل سياقها التاريخى .

والصعوبة الثالثة هى ان الفترة التى جرت فيها المراجعة اظهرت اساس العلاقات الحديثة التى تطورت بين البحرين وانجلترا ، تلك العلاقات التى بنيت على العدل والثقة والتى تستمر اليوم كما اعتقد فى الذكرى الطيبة لهذا الرجل الذى نتناوله . وأنا نفسى كشاب خدم فى ادارة العلاقات الخارجية البريطانية فان آخر عمل أرغب فى القيام به هو تعويض هذه العلاقة بأية طريقة ، وهذا يوصلنى الى الصعوبة الرابعة وهى ان الأمر لا يتعلق بقصة رجل واحد لكن بعائلتين وهما : آل خليفة التى خدمها باخلاص طيلة ٣١ عاما وأسرته خاصة زوجته وأحفاده . وأنا كفرد من هذه العائلة وكشخص يكن له الحب والاحترام ، فاننى واثق تماما من الحيرة التى وجدت نفسي فيها أمام ابن العم . كلنا لدينا أبناء عمومة ، بعضهم يسبب لنا مشاكل أكثر من الآخرين ، ولكنى كمؤرخ مهتم بوصف الأشياء كما كانت ، فأنا واثق ان ما أقوله سوف يؤخذ بنفس هذه الروح - أعنى بذلك الزمن - الذى تغير فى الآونة الأخيرة من أطراف كثيرة على الرغم من وجود التشابه المظهرى .

هناك نقطة مهمة أخرى وهى ان نضع نصب اعيننا خاصة عند قراءة مذكرة قديمة مضى على كتابتها خمسون عاما ان اللغة الانجليزية وكذلك اللغة العربية قد تغيرتا ،

والكلمات التى كانت تستعمل من الجيل السابق بمعنى معادل للوصف ـ مثل : وطنى ـ كانت قديما تكتسب معنى اضافيا . وعبارات كانت تستعمل منذ خمسين عاما مضت فى بعض الطبقات الانجليزية ، ومنها كلمة جنتلمان Gentleman سواء كان الشخص رجلا عاديا أو غير عادى ، تبدو الآن باهتة سخيفة .

وكذلك تغيرت الترجمة من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية ، وقد استعملت الكلمات كما استعملت فى الوثائق .

وأخيرا لتناول هذه المذكرات يجب أن يكون ماثلا فى الذهن عادة البريطانى الذى يعمل فى الخارج (عبر البحار) من كتابة المذكرات اليومية من صورتين (نسختين) ، نسخة منهما تجعل أفراد العائلة على صلة بأعماله اليومية ، فهى ليست أولا كتسجيل للأحداث ولكن على الأقل لتظل مصدرا للمؤرخين فى المستقبل ، أو لتبرير اعمالهم الشخصية ، والصعوبة العملية هى ان تسعة اعشار المذكرة اليومية تؤخذ عن الحديث والجدل الشخصى والاجتماعى . كما ذكر فى المقدمة .

كيف استطاع بلجريف ان يصل الى البحرين مع زوجته الجديدة فى أول مارس سنة ١٩٢٦ ؟ . هذا الأمر يتطلب مجهودا كبيرا اليوم للتصور التاريخى حتى يمكن تحقيقه بعد مرور ستين عاما مضت ، ووضع الامبريالية البريطانية فى العالم خاصة فى الهند والطرق المؤدية اليها ، كانت هناك حقيقة من حقائق الحياة واضحة لكل بادرة تساؤل على الأقل من الانجليز أنفسهم . ولم يدهش احد عندما قال نائب الملكة فى الهند ـ اللورد كورزون Curzon اثناء جولته فى الخليج عام ١٩٥٣ فى خطابه الى المشايخ فى الشارقة : « يوجد أشخاص يتساءلون لماذا تستمر بريطانيا العظمى فى فرض نفوذها ، ان تاريخ دولكم وعائلاتكم والظروف الحالية للخليج هى الاجابة على هذه التساؤلات ، نحن هنا قبل ان تظهر أى قوى حديثة فى هذه المياه . كانت تجارتنا ، وكان أمنكم هو المهدد ويتطلب الحماية ، فيجب الحفاظ على سلامة هذه المياه ويجب ان يبقى تأثير الحكومة البريطانية عاليا » .

كان كورزون Curzon قد قام بزيارة البحرين منذ وقت مبكر محمولا الى الشاطىء على الكرسى الذى ما زال هنا فى السفارة البريطانية ، وقد وافق على تعيين الكابتن بريدو Prideaux من المكتب السياسى الهندى كأول موظف سياسى بريطانى فى البحرين ، ومنذ عام ١٩٢٦ اصبح المندوب السياسى مقيما فى بوشهر Bushire ولكنه كان مسئول الحكومة الهندية للأغراض البريطانية فى كل الخليج ، والمنصب التابع للمندوب السياسى بالبحرين كان يشغله شخص يدعى ميجور دالى Major Daly

كان دالى رجلا ايرلنديا عجوزا شرسا سريع الغضب وقد نقل فى نهاية حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ من الجيش الهندى الى الادارة البريطانية المدنية بالعراق ـ الموضوعة تحت انتداب عصبة الأمم . وبسبب النميمة نقل من هناك ، ولرغبته الملحة لمشاهدة الأساليب الحديثة للادارة التى أدت الى التمرد عام ١٩٢٠ ضد بريطانيا فى الفرات Euphretes . وفى الوقت الذى وصل فيه الى البحرين ، أضيفت ثلاثة مصادر أخرى الى الاهتمامات التقليدية وهى « المحافظة على سلامة الخليج وحماية التجارة » ، كما ظهرت فى الأوامر الرسمية الى الضابط البحرى الكبير ، وهذه الأمور كانت الطموح والتنافس بين الفرس وابن سعود فى ملء الفراغ الذى سببه انهيار الدولة العثمانية ، والادراك الجديد لمصادر

الثروة وتنمية طريق الخليج جوا الى الهند ، ومن أجل البترول . ولحماس دالى المتواصل لتحسين الحكم وتدعيم تفوقه فى البحرين كما كان فى الخليج ، ركز على ان تكون الادارة والاستقرار الداخلى كافيين ليسمحا بنمو التجارة واستخراج البترول والمواصلات ، بينما فى العلاقات الخارجية التى كانت بريطانيا مسئولة عنها بمقتضى الاتفاقيات ، فكان يرى ان تتجه معاملة الاحسائيين Hasawis والمواطنين الفرس فى البحرين وجهة لا تجعل لابن سعود أو للحكومة الفارسية أى ذريعة لتأكيد سلطاتهم .

كانت هذه هى الحالة فى عام ١٩٢٢ وهذا هو الذى دفع السلطات البريطانية للتغلب على العزلة الطبيعية والتدخل فى الشئون الداخلية للبحرين . وكما وصفها السير شارل بلجريف فى ترجمة حياته فى «العمود الشخصى » : « فقد اعتقد الشيخ عيسى بن على ان الانجليز يتراجعون وينسحبون من النشاط المتوازن للأعمال بعد ان حكم البحرين مدة ٥٥ عاما وكان ابنه الشيخ حمد وليا للعهد منذ عام ١٨٩٣ وقد تولى زمام الأمر فى عام ١٩٢٣ » .

ومن أجل معاونة الشيخ حمد فى مهام عمله الجديد فى « جعل حكومة البحرين تسير على مستوى الحضارة الجديدة » اقترحت عليه الحكومة الهندية وممثلوها فى الخليج ان يسمح لها بتكليف ثلاثة بريطانيين رسميين متخصصين ينوبون عنه وقد تم تعيين السيد / دى جرنير De Gre-nier رئيسا للجمارك للنهوض بها وتحديثها وهى المصدر الوحيد لايرادات الدولة وكانت حتى ذلك الحين تحت رعاية المقاولين الهنود وكانت نتائجها غير مرضية . ومن أجل زيادة دخل الدولة . وكان لبريطانيا رغبة شديدة اخرى هى اعتقادهم مع بعض المبررات ان جزءا من تجارة الاسلحة المحرمة تمر من خلال البحرين ، ثانيا ، كانوا يرغبون فى تجنيد رئيس للبوليس ، وثالثا ، كانت الفكرة الاساسية لدالى هى تعيين مستشار مالى يستطيع ان امكن ان يساعد المندوب السياسى فى بعض أعمال القضاء ، فى الفصل القضائى الذى كانت انجلترا قد أصرت عليه لمعالجة كل المواضيع أو المسائل التى تخص غير البحرينيين . ولما لم يكن يوجد عضو مناسب فى المنظمة البريطانية الهندية ، فقد ظهر فى ١٠ اغسطس عام ١٩٢٥ الاعلان التالى فى صحيفة التايمز The Times فى العمود الشخصي .

« مطلوب شاب عمره من ٢٢ الى ٢٨ سنة من مدرسة عامة أو تعليم جامعى للعمل فى دولة شرقية ، مرتب جيد ونتطلع الى الرجل المناسب الذى يجب ان يكون سليم البنية ، خبرات كبيرة ، من الأفضل ان يجيد اللغات » .

وفى ١٧ سبتمبر عام ١٩٢٥ وصلت البرقية التالية من وزير الدولة للهند بلندن الى نائب الملك : « الشيخ حمد شيخ البحرين نطلب تكليف المندوب السياسى دالى للبحث عن ضابط بريطانى كمستشار مالى مثل برترام توماس Bertram Thomas فى مسقط Muscat . بريدكس Brideaux (المقيم السياسى الذى يعيش فى لندن) . « وتطلب الحكومة الهندية الاذن الرسمي لتكليف شارل دالريمبل بلجريف Charles Dalrym-ple Belgrave الذى اعتبر أنسب شخص ، فهو ضابط ادارى مبتدىء وغادر تنجانيقا Tanganyka تمهيدا للاستقالة فى ٣١ اغسطس - لغاته عربية - سواحلية - فرنسية - خدم فى مصر بكفاءة مدنيا كما لو كان عسكريا ، نجح فى امتحان قانون العقوبات بالهند ، وهو حجة فى المرافعات

الجنائية والقوانين المدنية ـ مرتب أكثر من ٨٠٠ روبية شهريا » .

وبالطريقة الديمقراطية سألت دلهى ايضاح تفاصيل الاقتراح وكان ذلك قبل بضع سنوات من الخدمة ، وأخيرا وقبل الاستقرار النهائى (أو ايضاح الواجبات المكلف بها) ، يتضح من المذكرة ان الوظيفة قدمت له وقبلها وهى مستشار للحكومة فى البحرين وليس كضابط انجليزى أو مساعد للأعمال السياسية ولكن تحديد مهمته وضع أساسه هؤلاء القائمون بالعمل السياسى فى الهند . كان عقد العمل لمدة أربع سنوات وتم توقيعه بمجرد وصول بلجريف واعتمد بخاتم الشيخ وصدق عليه من دالي . وكان مذيلا بالتجديد « فى حالة موافقة الجانبين توافق حكومة الهند » ، وهناك شرط واحد كان ينص على منع « العمل فى التجارة » . وعدل العقد بعد سنوات بمنحه إجازة « اجازة محلية » ، وعندما نجحت سياسة الوكلاء كما وضعها بلجريف فقد تحول من مقيم سياسى الى وكيل سياسى فى ٤ مايو سنة ١٩٢٨ . وبناء على طلب وموافقة ورغبة الشيخ فى تحمل تكاليف رحلة حرم بلجريف الى الهند حيث كان زوجها ذاهبا لجمع أفراد جدد للبوليس ، أقر الشيخ سفرها باعتبار انه : « من غير اللائق ان يتركها » وكانت اجابة المقيم السياسى واضحة : « السيد بلجريف خادم حكومة البحرين وكل عمل يشير به الشيخ فى خصوصياته يعتبر أمرا . ونحن لا نعتبر ذلك نهبا ـ وهذه ليست القضية » . وبمرور الوقت وعندما جاء وقت تجديد العقد شعر المندوب السياسى بوضوح ان المستشار اصبح مستقلا بمعاملاته عن انجلترا ويتعامل بصفة شخصية مع البحرين فأثار ذلك بعض المشاكل فى حصوله على «موافقة» الحكومة فى الهند . على أى حال فى ٥ مايو سنة ١٩٢٩ أرسل المقيم السياسى الى المندوب السياسى تقريرا : « لقد تسلمت رسالة من الشيخ حمد انه جدد تعيين بلجريف لمدة أربع سنوات « لأننى قد وجدته يعمل كل جهده فى انجاز كل المواضيع التى تخدم حكومتى » .

كان التفانى فى الخدمة هو أساس وملامح خلفية المستشار وأخلاقه وكان لعائلته منذ قرون ضياع فى وسط انجلترا ، وكان لهم الحق فى تعيين من يختارونه كقس فى كنيسة القرية فى شمال كيلورث بليسسترشير . وفى خلال ٣٠٠ سنة مضت كان لهم الحق الشخصى فى اختيار سبعة من العائلة . وكان والده راعى هذه العائلة محاميا وخبيرا فى القانون ، كتب مجلدات عن مغامرات غير ناجحة بحقول الماس بجنوب افريقيا ومناجم الذهب فى كاليفورنيا . ووالدته من أصل سويسرى تفضل الحياة فى شاتلارد على شواطىء بحيرة جنيف ، حيث كان ولداها يقضيان أجازتهما من مدارس انجلترا ـ وكان جيمس اكثر الاخوة مرحا وقد مات فى غارة جوية على فرنسا عام ١٩١٨ ، اما شارلز فلم يسمع عنه الا وهو فارس وكان افراد الاسرة او الاصدقاء ينادونه كارول وهو (لقب) ، جده كابتن توماس بلجريف القانونى فى البحرية وخدم أول حياته على سفينة تحت رئاسة ادميرال داكريس ومع أخيه الذى كان يعمل قسيسا عسكريا تزوج كلاهما ابنتى قائدهما أما حماه فقد تزوج من ابنة سير هاو دالريمبل وهو واحد من أنجح قادة بريطانيا فى حرب شبه الجزيرة ضد فرنسا وقد لقب بكارول . وقد اعد شارل دالريمبل بلجريف نفسه وهو فى البحرين لأن يكون شخصية مرموقة بين عائلته . وعندما ذهب كارول الى جامعة اكسفورد عام ١٩١٣ كان من المنتظر انه سوف يدخل الكنيسة كراع خلفا لعمه عن شمال كيلورث . ولكن احداث

حرب القيصر اقصته عن ذلك واتخذ طريقة فى خدمة شعب البحرين بنفس الهمة التى كان يقوم بها فى رعاية أهله بالقرية الانجليزية . حقا انه لم تعزب عن فكره اقامة علاقات متوازنة بين الضيعة والقسيس فى القرن التاسع عشر بانجلترا ، فالأولى علمته حقوق الملكية والعدالة والمساواة بين افراد الضيعة الذين يعيشون بينهم ، والأخيرة كانت جزءا من واجباته ومعتقداته الدينية التى تخصه مع ميوله الطبيعية وتعليمه ونشأته كإبن متدين يعيش فى مجتمع له نشاطه الدينى والرياضى . هذه العلاقات كانت طابعه فى صلته مع اثنين ممن توليا حكم البحرين . وعندما جند فى الجيش مثل كل زملائه من اكسفورد وجد بلجريف نفسه على سفينة عسكرية الى مصر حيث سجل ذلك فى مذكرته عام ١٩١٧ وحيث « حصل على عمل فى كتيبة الجمل » وهناك تعلم اللغة العربية وشاهد بعض الخدمات النشيطة فى الحبشة . وعندما انتهت الحرب وجد طريقه فى قوة الدفاع المصرية ـ وكان لا يزال تحت السلطة البريطانية وتم تعيينه ضابطا سياسيا فى سيوه ، هذه الواحة البعيدة فى جنوب صحراء مصر الشهيرة والتى اشتهرت فى التاريخ بأنها موطن آمون والمكان الذى حج اليه الاسكندر ، وكان الضابط الانجليزى الوحيد الذى وضعت فيه الثقة لحماية السنوسى . وقد بذل بلجريف جهدا للحكومة المحلية «ونظف» المدينة وجعل السكان يحفرون الآبار وغير نظام قنوات الرى وغرس حدائق النخيل . وبعد ١٨ شهرا اصيب بمرض التيفود وكاد يموت قبل ان تنقله سيارة عسكرية الى مرسى مطروح . وقد أرسل رسالة من المستشفى الى ابن عمه الأول (والدى) يقول فيها انه غير متأكد من المستقبل ويطلب النصيحة فى هل يستجيب لطلب تفويضه كضابط فى الجيش . فى النهاية عاد الى منزله وقضى عاما مستمتعا بصحبة اهله وهؤلاء القلائل من الاصدقاء الذين خدموا اثناء الحرب واخذ يدون كتابه عن سيوه الذى يعد من احسن الكتب الثلاثة التى نشرها ، ثم قضى سنتين تحت الاختبار فى خدمة كولونيل فى تنجانيقا ، ولكن هذا العمل كان لا يرضيه ولا يرضى ذوقه الأجنبى ولا رغبته فى الحصول على المرتب الذى يقنع به والد الفتاة التى يحبها ويجعله ينظر اليه على انه الرجل المناسب لابنته كعريس من عائلة صديقه ، الفتاة هى مارجوريا بارريت - لينارد . كانت هذه هى الظروف التى رأى فيها الاعلان فى جريدة التيمز وتقدم لطلب الحصول على الوظيفة التى احضرته الى البحرين وهى المكان الذى وصفه قائلا انه لا يعلم عنه أى شىء ويمكن ان يجد فيه القليل .

ويبدو ان الوظيفة قد لقيت قبولا عند والد عروسه رئيس عائلة نورفولك . وبعد أيام قليلة من الزواج ، أخذ الزوجان طريقهما الى الشرق الأدنى وعبرا الصحراء بسيارة ثم أخذا سفينة الى البصرة Basra وهنا ندع المذكرة تتحدث :

« أحضرتنا سفينة الباترك استيوارت من بوشهر Bushire ورست على شاطىء البحرين فى وقت الافطار . بدت جزيرة طويلة غير مرتفعة ذات حدائق من النخيل على طول الساحل ومدينة واحدة كبيرة على الشاطىء ومدينة أخرى على جزيرة أصغر . ويوجد عدد كبير من الزوارق الشراعية على الشاطىء . وبالقرب من الشاطىء يتغير لون الماء بين أزرق وأخضر وارجوانى ، كل ذلك يعطى المكان منظرا جميلا . الهدوء تام ولكن اهتزاز صوت المحركات يسمع بوضوح ليلا وكان يضايق «م» .

قابلت دالى فى «مقره» ويبدو انه منزل ضخم نظرا لشرفاته الواسعة المطلة على البحر وقد بنى جيدا وفى حجرة مزينة بالرسوم الجميلة قابلتنا حرم دالى ، وبعد تناول الغداء ذهب كل منا الى المركب . وجرى حديث طويل مع دالى عن العمل اثار كثيرا من الفضول والحذر الشديد فى السياسة التى يجب ان يتحلى بها الانسان .

« شىء محبط ان تجدهم يبنون لنا منزلا جديدا وان ذلك سوف يستغرق عدة شهور ونحن فى مسكن مؤقت مجاور ، الليل جميل ، القمر كامل تقريبا يسطع بأنواره على كل البحر ، المدينة وكل ما رأيته بها يبدو نظيفا جدا ومنظم وهى مثل أى مدينة كبيرة فى صعيد مصر . منظر البحر محبب وفى كل الوقت حركة مرور كثيرة من المراكب من كل نوع ومن كل حجم غالبا تذهب الى الجزيرة الأخرى . ذهبنا لتناول العشاء مع الشيخ فى نهاية الاسبوع فى احد المنازل الموجودة بداخل الجزيرة ، شعرت بشىء من عدم الارتياح عند مقابلتى الأولى له .

حدثنا دالى عن تجاربه وخبراته عندما كان فى انجلترا » .

« بعد الظهر ذهبنا مع مدام دالى فى جولة حول المدينة رأينا حدائق النخيل تجرى وسطها مجارى مياه الآبار التى ذكرتنى كثيرا بواحة سيوه .

كل شىء نظيف وجميل وعدنا من وسط المدينة . الشوارع ضيقة جدا والمنازل عالية ضخمة ونظيفة بشكل مثير للدهشة ، بعض المنازل لها أبواب منقوشة جميلة تشابه تلك التى رأيتها فى زانزبار ، وللأبواب مطارق نحاسية من الخارج والمنازل تبدو فسيحة واسعة تشير الى ذلك الشرفات العليا والسفلى ، كان الوقت متأخرا فلم نر محلات تجارية مفتوحة ما عدا بعض المقاهى .

« المنزل الذى نقيم فيه مجاور تماما للمنزل الجديد الجارى بناؤه وتكلف ٦٠٠٠ جنيه انجليزى ، وبذلك كان يمكننا مراقبة اعمال البناء .

« دالى وحرمه كلاهما صغير جدا ونحن ضخما الحجم بالنسبة لهما ! » « يوم جمعة جميل . قضينا الصباح مع دالى فى مكتبه نتحدث ويدون بعض المذكرات . هو يريد ان يجعل منى شخصا مناسبا ملما بكل أمور السياسة وفى النهاية . وقعت مكيدة قبل مغادرته ، كانت من احد الرجال غير الحذقين وهو مدير الجمارك دى جرونير .

السبت ٣ ابريل :

عملت مع دالى طوال الصباح واكتب بالعربية طوال فترة بعد الظهر . وقد كان دالى جديرا بأن يتعلمها وأنا استذكرها معه بعد الظهر خلال اسبوع الدراسة . وأخيرا ذهبنا فى نزهة الى احد الآبار فى حدائق النخيل وأخذنا الشاى معنا فى السيارة . المكان محبب جدا ويشبه تماما واحة سيوه ، وكان دالى يحب المكان ودائما يتردد عليه خلال السنوات الخمس التى قضاها هنا . وكنت أقدر ذلك الشعور الذى احسست به يوما من قبل فى واحة سيوه ، فالأكواخ لا يأنف منها احد . ودالى يعمل بجد وهو دائما قلق حتى لا يذهب جهده هباء . وقد سر كثيرا لأننى اتحدث العربية أكثر مما كان يتوقع .

الأحد فى الشرق :

« كتابة خطابات فى الصباح ترسل عن طريق البصرة Basra بعد الظهر ونعتمد على الحاقها ببوسطة بغداد حيث ترسل على وجه السرعة . وبعد الظهر نأخذ الشاى مع المبشرين القساوسة فى منزلهم المخيف المظلم جدا ، وهو بسيط مغلق النوافذ دائما ويبدو قبيح الشكل ، وكان الشاى غير مبهج

ثم قام القساوسة بعد ذلك باداء الخدمات الكنسيــة حــركــات وتــلاوات ثم أقيمـت الصلاة ، وقدمت أناشيد بصــوت سيدات وهى أناشيد طويلة جشة وبلهجة المـانية . والموعظة استمرت نصف الساعة . بعد ذلك قدنا السيارة الى منزل الشيخ بالريف ويقع فى وسط الجزيرة حيث يحب ان يعيش بين خيـوله وكلابـه وجمـاله وصقـوره وقيـادة السيارات . بدأنا الرحلة متأخرين حيث كان الوقـت قــد اظلم قبــل ان نـصــل . أنــا ومــارجــورى ودالى والولد وصــديق يسمى هولمز Holmes استرالى لطيف وله علاقـة بالبترول ، وكـان بسيارة هـولمز اثنـان من وكلاء العرب . سرنا بين حدائق النخيل ثم خـلال صحراء منبسـطة تاركـين مساحـة مغـطاة بأكـوام القبـور والمـدافن التى لم تكتشف بعـد ، وصلنـا القـريـة فى الظلام وولجنـا بـين عـديـد من حـظائـر الحمـير والجمــال ، وحشد من العـرب حـول بـاب الشيـخ . قابلنـا الشيخ محييـا فى الخارج وبصحبتـه شخص وسيم فى جلباب أبيض وعلى رأسه العقال العربى . ودخلنا حجرة طولها خمسون قدما لا أثـاث فيها ، فقـط سجادة وبعض المساند بجوار الحائط ، وفى الوسط حصير مستـدير . جلسنـا نتحدث لبعض الوقت ، تحـدثت قليلا وقـد وجدت اننى استطيع فهم اللغة العربية جيدا على الرغم من اختلافها الواضــح عن النطق فى مصر . مـلاحظات عـديدة قـدمت وطرحت ولكن الشيخ ووكلاء هولمز ظلوا يتناقشون . الجدران كانت بيضاء وبها نـوافذ مـربعة عليهـا حليـات من الأرابيسـك الجميـل . والباب والنوافـذ جميلة الصنع وهى عـلى جانب واحد من الحجـرة ، والسقف جميل جذاب صنع من خشب زانزبار . السكون والبهجة فى العيون . احضر العشاء اثنا عشر صبيا . وقبل العشاء غسلنا الأيدى فى طست من النحاس وابريق من النحاس ينصب منه الماء . كان الأكل جيدا ، خروفان مشويان فى الوسط ، ودجاج محشو محمر وبيض محمر على كمية من الأرز . كل أنواع الأطعمة مع خبز رقيق جدا وخليط من السلاطة والشربة والبلح . لا تـوجد شـوك ولا مـلاعق ولكن تستعمل الأيدى ، ثم عدنا بالسيارات .

كان يبدو عجيبا ان الشيخ حمد المسن الذى يظهر بمظهر العربى العادى له دخل سـنـوى بـين ١٥ وعــشــريــن الفــا ، ويستخدمنى ! . بعد العشاء كان له حديث خاص مع دالى وكالمعتاد شكـا واحدا من رجـاله ، من درجـة رئيس العمــال سلبـه واستدان نقودا باسمه وان هناك سلب عن يمينه وشماله وان جزءا من عملى هـو منع ابتزاز الناس لأمواله .

« ان الانسان يحتاج أجيالا للكتابة عن السيـاسة اللازمـة للشخص ليتعلم الكثير عنها بالقطع ، فيوجد الكثير من المـواضيع للكتابة ولكنى أشك ان الناس يصدقون كل هذا » .

فى غضون شـهور قليلة منذ قيام بلجريف بمهـام عمله ظل يعيش فى المسكن المـؤقت الخاص بقوة البوليس ، بينما منزله المجاور للمندوب البريطانى أكمل بنـاؤه . وفى يوم أراد بلجريف ان يغادر منزله قبل السـاعة السابعة سيرا على الأقدام من خلال السوق الى مكتبـه . مبتـدئـا العمـل مـع الكتبـة بحضوره مبكرا ، هناك اصبح ملازما للشيخ حمد وشقيقه الشيخ عبدالله وهما معا يقران أعمال الحكومة . بعد الافطار كان سمـوه دائما يجلس فى الساحة يستقبل زواره من المـواطنين ، وعـادة يقضى بعض الوقت مع دالى المندوب السياسى ، الذى كان حماسه للأعمـال الداخليـة فى البحـرين مـوضــع اعجاب .

بعد الغداء كان على بلجريف ان يسير بسيارته ليتعرف على الجزيرة ، أما الأمسيات فكان يقضيها في حلقات من زواره أعضاء البعثات الأوربية وهم حوالى العشرين أو أكثر حيث كانوا يتسلون بالتنس والبريدج وفي بعض الأحيان قد ينضم اليهم بعض أفراد من أسرة الخليفة أو من التجار .

يوم الأربعاء ٤ أغسطس :

مهما كانت الأحداث وعلى الرغم من مصادفاتها فقد وضعت بريطانيا نهاية للغموض الذي كان يحوط العلاقة بين المندوب السياسي وبلجريف والشيخ حمد . اقتطف من المذكرة احداثا واعطي ايضا حسابا لأيام المستشار وواجباته اليومية التي كانت لا تزال تناسبه .

الأربعاء ٤ أغسطس : ذهبت للمكتب كالمعتاد ، كنت ماشيا مع دي جرونير في الخارج عندما هرول محمد رئيس خدمي متجها اليّ مسرعا قائلا توجد حادثة في القلعة ، دالي والسوبادار أصيبا بالقرب من القلعة . لاحظت عددا كبيرا من الناس واقفين ، وكذلك بعضهم يقف امام أبواب منازلهم . وجدت مارجوري في الشرفة مضطربة . ذهبت مسرعا الى داخل القلعة تاركا دي جرونير . سمعت انه بينما كان دالي في المكتب مع السوبادار ، اطلق احد الجند الهنود وهو بلوشي الرصاص على السوبادار فاخترقته الرصاصة وأصابت ايضا دالي . ثم هاجم دالي بالسنكي . الصمت يخيم على جموع الناس ، أخذت السيارة وذهبت الى الوكالة ، وجدت دالي بحالة سيئة ومعه الطبيب ، وقد اصابته الرصاصة في أذنه وأصابه السنكي في خمسة مواضع . السوبادار والهافيلدار كانا في المستشفى مصابين بجراح عميقة . جمع غفير من الناس متجمهر حول الوكالة ، وعندما كنت راجعا بالسيارة الى الخلف رأيت الشخص الذي اطلق الرصاص . ساد المدينة هلع وظن الناس ان كل الضباط والرجال البيض قد اطلق عليهم الرصاص وستجمع جثثهم وسيجري سلب ونهب في السوق . فأغلقت المحال في ظرف خمس دقائق واخذ جمع من الناس القوارب هربا الى المحرق Muharraq وبعضهم هرب الى الحدائق خارج المدينة وبعد فترة الهياج ساد الهدوء وفتحت المحال مرة اخرى .

كتبت الى الشيخ عيسى وأخبرته بكل ما يجري وذهبت الى الشيخ حمد وأخبرته فذهب على الفور لرؤية دالي وقد بدا عليه الغضب والحزن .

الخميس ٥ اغسطس :

زرت دالي في الصباح وكانت جراحه مغطاة بالأربطة ثم ذهبت الى المكتب . شيعت جنازة السوبادار وفي الظهر توفي الهافيلدار ودفن في المساء . شيء محزن ، فنواح الأرامل كان يشير دائما الى انه لا يوجد خطأ من الرجلين . أكتب تلك المذكرات عن تلك الأيام التي كنت فيها مشغولا جدا بعملي بالاضافة الى عمل دالي . حضرت مارجوري في المساء لترى دالي ثم ذهبت معي بالسيارة ، المدينة تسودها الاشاعات ، والناس يعتريهم الفزع والهلع . يوميا يطلب الشيخ رؤية دالي ويعتقد انها مؤامرة وان حاج سلمان رئيس الشرطة والرجل الأول عند ليفي يجب ان يطلق عليهما الرصاص . كل شيء هادىء تماما في القلعة والسجين في زنزانته التي تقع اسفل حجرة ملابسي .

الجمعة ٦ أغسطس :

قضيت طوال الصباح مع فرقة ليفي أتحرى الحقائق عن حادث اطلاق

الرصاص . الرجل المجنون لا ينكر الحادث وذكر انه فعل ذلك لأن السوبادور أحضره من نـاكى الى العمـل فى الجنـديـة عنـد الأوربيين . وقال انه كان لا يقصـد اطلاق الرصـاص عـلى دالى ، ولكنـه هـاجمـه بـالسنكى . عندمـا قال «امسكـوه» . لقـد تصرف الحراس تصرفا سيئا فقد ابتعدوا عند سماعهم اطلاق الرصاص وكانـوا هم الموجودين بالقرب من الحادث . طلب دالى سفينة كان الملاح قادما من حدود روسيـا فهو فارسى مظهره ردىء متعصب ، عينـاه خضراوان ويبدو كأن طبعه سيئ من تصوره العقـائـدى ، شعـره طويـل وكـذلك ذقنـه وملابسه . بعـد الشاى ذهبنـا الى جزيـرة سترة فى قارب ، كانت حركـة المد والجـزر والريح ضدنا فلم نصل الا الساعة الثامنة مساء ، وسرنا حتى موقـع ليفى الذى كان يبدو قذرا . مكثنا بعض الوقت ، وعدنا الى القارب وكان الوقت قـد اظلم وحركـة المد والجزر معنا ، ولكن لا يوجد ريح فوصلنا الى الأرض ، لقـد كان المشى أفضـل كثيرا من المتـاعب التى قضيناهـا فى دفع القـارب . حملوا مارجورى ولكنها كانت هلعة ووصلنا الى قرية ثم استأجرنا حمارا من رجل عجوز كـان يعتقـد اننـا من اللصـوص . ركبت مارجورى الحمـار ومشيت أنا عـلى قدمى مسافة حوالى خمسة أميال وقد وصلنـا فى الساعة الثـانية عشـرة والنصف ووجدنـا عشاء فاخرا فى انتظارنا . حقا هؤلاء الخدم من المواطنين مدهشون عندما يكـون هناك اضطرار في ليلة مظلمة ، أعطيت مارجوري، لؤلؤة كنت قد اشتريتها لها بمناسبة عيـد ميلادها .

السبت ٧ أغسطس :

حضر دالى الى الوكـالة لأنـه يـرغب فى تخفيف عبء العمل عن مارجـورى وكانت فكرتى انه لا يوجد خطر على الاطلاق ولكن دالى أبرق الى بحارة السفن . كل منا كان غير راض عن ذلك ، وعند مغادرتنا القلعة بـدا وكأننا خائفون من شىء ، ولكنى فى الواقع كنت مقتنعا انه لا توجد أى متـاعب وانها كانت زوبعة فقط .

الاثنين ٩ أغسطس :

وصلت بعـد الظهر السفينـة سيكلامن وعليها الكابتن برريمان وبعد ان أرسل عددا من بحارته قاموا بوضع مدافع آليـة حول مبنى الوكالة حضر الى الشاطىء فى المساء ، ذهبت أنا ومارجـورى بالسيـارة الى مبنى الجمـرك لاستقبالهم ، ولكنى وجـدتهم قد ذهبوا الى الوكالة مباشرة . كنـا قد رتبنـا خمســين من الفـرس كنـوع من البـوليس الخاص لحراسة المدينـة ليلا ، حيث كـان النـاس مضطربـين ، وقـد انتهـز البعض الفرصة للمعاكسة ، فسطا اللصوص عـلى منـزل مقابـل للقلعـة واطلقـوا الرصـاص وأصـابوا صـاحب المنـزل . من العـار ان يحدث ذلك لمواطنين مسالمين فقراء . ذهبت الى المكان فى الصباح قبل الافطار وأجريت تحرياتى عن الموضوع ، لقد خدع الحـاج عباس ليأخذ مكانه مؤقتا عند البوليس حتى لا يحدث اضطراب فى المدينة كما ذكر دالى فى برقية الى بوشهر .

الثلاثاء ١٠ أغسطس :

محاكمة طويلة قبل الافطار كمـا بحثت ايضـا بعض قضايـا الوكلاء الثـلاثة مـع الضـابط السنيـور نافـال ، بارري سـوف يـأتى ، دالى مسرور جـدا بحصـوله عـلى تحذير من الفيكاروى بناء على طلبه وارسال مـواسـاة الى عـائـلات الذين اطلق عليهم الرصاص .

الأربعاء ١١ أغسطس :

وصل البريد مع استيوارت ـ هورنر رئيس السكرتارية من بوشهر ، كان مغرورا ولكن به قليل من الحذر والذكاء . ذهب الى مكتب القلعة . كان كل شيء عاديا في الخطاب . دالى يريد ان يسرح كل أفراد فرقة ليفى ويستبدل بهم جنودا من الهنود . جلس يتحدث الى هورنر طوال ما بعد الظهر واخبره بتفاصيل كل ما حدث .

الخميس ١٢ أغسطس :

وصل ثلاثي « اسطول كروزر الملكى » . وقد قضوا معظم الصباح في أخذ البيانات عن حالة اطلاق الحاج سلمان الرصاص . ويبدو ان هناك رجلين مشتركين فى الأمر . حضر بارى وباريمان للعشاء وبعد ذلك لعبنا البريدج . كان دالى ينتقد بريدوكس ، وكانوا جميعا متفقين على الوصف « مظهر الاسقف Bishop بمعنويته واخلاقياته يدل على انه رجل متوازن » وقد اعجبت كثيرا . وعند مغادرة دالى المكان لم يأخذ فى باله ماذا قال وماذا فعل . دالى حقا هو الذى فعل هذا العرض والآن يبدو ان الاسطول سيقوم بعمل ملفت للنظر فخططوا للقيام غدا بدخول القلعة وتجريد ليفى من السلاح . كنت أمضى ساعات كثيرة فى الحصن يوميا ، والآن يتحدثون انه فى حالة دخول أى منا الحصن يجب ان يكون معه رجلان مسلحان لحمايته ، كان ذلك مضحكا وهزليا .

الجمعة ١٣ أغسطس :

توقفت المحركات فى الميناء فى الساعة السابعة والنصف صباحا وصل ثروبون Thereupon واثنان من الكباتن (قبطان) وكل رجال كروزير cruisers وهم فى غاية الخشونة ومعهم بنادقهم وحرابهم ومسدساتهم والمدافع الآلية وكامل معدات الاسعاف ، لم أكن أتصور انهم حقا يفكرون فى الاعتداء ، وقد كنت فى طريقى للنزول من القلعة ذاهبا بكل وقار الى السوق مع كبير ضباط اسطول الخليج ، وبعض القوات .

وبما ان اليوم كان يوم جمعة فقد كان السوق خاليا ، ولكن كان هناك بعض الصبية يلعبون . ويبدو ان البحارة كانوا يشعرون بالحر الشديد والضيق فى الوقت الذى وصلنا فيه الى السهل . الطريق الذى أسير فيه ذهابا وايابا من والى مكتبى . كانوا يعتبرونها مسافة طويلة . وبالوقوف خارج القلعة ولم تكن لدينا أى فكرة عما قد تفعله فرق الجنود ، أرسلت مجموعات لتطويق القلعة فى هرج ومرج ممجوج . سرت انا والكابتن الى القلعة وفى الفناء الرئيسى كان يبدو على رجال ليفى الاهتمام وطبعا غاية اللطف . حقيقة شعرت بالغباء . وضع حراس مسلحون على الأبواب وكلف ضابط بالمرور على الحراس وقلت انه يستطيع استعمال حجرة ملابسى ، تم ايقاف الملا The Mullah ونقل السجين الآخر الى القسم الادارى (الوكالة) .

الأحد ١٥ أغسطس :

تم دفع نفقات رجال فرقة ليفى . حقيقة لم تكن جماعة سيئة واعتقد ان ثلاثة أو أربعة كانوا متأثرين ، ولكن دالى كان يرغب فى رحيلهم بأمتعتهم .

الاثنين ١٦ أغسطس :

كنت بالمحكمة طوال اليوم لنظر قضية حاج سلمان (رئيس البوليس) وسماع أقوال الشهود وقد قال الجميع ما سبق ان سمعته من قبل . حضر للغداء معى الكابتن بارى (البحرية الملكية) وهو حقيقة شخص لطيف

ورزين . تبادلنا حديثا طويلا عن كسل وعدم كفاءة بريدو Prideaux وعجزه فى بوشهر Bushire . وبعد الغداء عدنا لمواصلة الحديث طوال فترة ما بعد الظهر . وبعد تناول الشاى ذهبت أنا ومارجورى بالسيارة على طريق البديع Budiya وعدنا عن طريق سوق الخميس . وعند عودتنا القينا نظرة على المنزل وتم تبادل برقيات كثيرة . (اليفز) اليفيون The Levies ملوا الانتظار هنا . كان دالي يرغب في نقل كل فرقة ليفي البلوشي واحضار هنود . ويعتقد بريدو Prideaux فى بوشهر اننا جميعا نقوم بعمل هرج ومرج كبيرين فى المنطقة . وحقيقة كنت اعتقد ان دالى قد قرر التقاعد بعد قضاء خمس سنوات وهو غاضب كثيرا ؟ هو حاليا بصحة جيدة ولكنه ما زال محموما . وفى يوم شديد الريح والبرد ، هبت ريح الشمال مرة اخرى ، شكرا لله . ذهبت الى المكتب فى الصباح وحضر الشيخ ، وكان قد حضر قبل ذلك للوكالة لزيارة دالى . كان الفناء مليئا بالمساجين المكبلين ومعهم حراس مسلحون أشداء وبحارة ، وكان ذلك يبدو مضحكا للغاية .

الأربعاء أول سبتمبر :

العودة مبكرا الى المنزل الى حد ما ، وبعد الظهر ذهبت مع محمد خليل الى مكان يسمى كرزكان Kurzakhan حيث فحصت قناة مائية فى حاجة الى اصلاح ، مشيت على قدمى وركب محمد حمارا ، حقيقة المكان كان ممتعا لم أشاهده من قبل ، تقابلنا مع شيخ الرفاع Shaikh OF Rifaa وجلسنا بعض الوقت تحت ظل مسجد نشرب القهوة ونناقش العمل مع السكان المحليين ، ثم عدنا متأخرين فى الليل . دالى كان فى حالة يأس لأنه تسلم برقية من بريدوكس تقول ان بريدوكس والسكرتير الأول سوف يصلان يوم الجمعة . كان دالى لا يحب بريدوكس وقد تحدث دون توقف عن عيوبه الكثيرة ، لهذا توقعت ان تكون الزيارة غير محتملة . ولم يكن الكابتن يحبه ايضا وهو من كل النواحى كان مجرد « نوع من قاض شرعى . Cadiz» وكان مخيفا ولأنه رجل مسئول فدائما يلقى التبعة على المرؤوسين . ما زال الجو باردا .

الثلاثاء ٣١ أغسطس :

التخلص من باقى فرقة ليفى والبوليس الذى كان عليه ان يذهب كانوا مثل الآخرين تبدو عليهم السعادة والمرح لأنهم راحلون اجتاز بهم الاسطول الرصيف الممتد فى البحر حيث دفعت لهم الأجر . حاول عدد من النساء القاء أنفسهن فى المراكب الشراعية للذهاب معهم ، ولكن ذلك كان ممنوعا ، حقيقية لقد كان من المستحسن التخلص منهن بارسالهن أيضا .

الجمعة ٣ سبتمبر :

هرج ومرج وكثير من الاستعدادات لزيارة الكولونيل بريدوكس تأخر « اللورنس Laurence » كالعادة . ولكنى أخذت عشائى قبل ان أذهب لمقابلته . وصل الشيخ والشيخ عبدالله فى الصباح ، وبعد الغداء ذهبت الى القصر ثم رافقتهما الى الجمرك . وركبنا فى لانش الشيخ الى اللورنس ، ذهب الشيوخ الثلاثة وكثير من أولادهم على متن السفينة كان الكولونيل بريدوكس وشاب متعب هو المساعد الثانى (السكرتير الثانى) على متن السفينة . كان اسلوب الكولونيل بريدوكس سيئا مع الأهالى وبدون مبرر أعطى فكرة سيئة عن نفسه ، كان يبدو حاد المزاج ولكنه اصبح دائما كذلك . وكان الشيخ متضايقا وفوض كل شىء لى ، وبعد نصف ساعة غير طيبة إنصرف الشيخ .

السبت ٤ سبتمبر :

لقد أرسلوا فصيلتين من الجيش الهندى هنا مؤقتا ، الى ان تصل الفرقة الجديدة من المجندين والبوليس . وسوف يصل بارك Parke فى القريب العاجل . كنت أترقب وصوله وسوف يكون مساعدا للمستشار بالاضافة الى عمله كضابط مسئول بالبوليس ، لذلك أتمنى ان يكون لدى عمل أقل أقوم به .

الثلاثاء ٧ سبتمبر :

تأخرت كثيرا عن الافطار ـ والغداء ، وسألت عن الشيخ عند عودتى بعد عمل طويل بالمكتب ، وقد تحدث طويلا . وهو الآن ليس على استعداد ليخبرنى عما يفكر فيه فيما يخص الأمور . تاجر قديم اسمه يوسف كانو Yusif Kanoo .

الأربعاء ٨ سبتمبر :

حضر الشيخ فى الصباح الى المكتب . وبتواضع شديد ، قال انه اعتاد صرف حوالى ٢٠٠٠٠ روبية فى شهر ومرة ٣٠٠٠٠ روبية والآن بمراجعة حسابه فقد صرف نحو ٨٠٠٠ روبية فقط (الروبية هى شلن و٦ بنسات) وقد تم توحيد القياس مؤخرا . حضر أولاد الشيخ الذين كانوا فى المدرسة بالبصرة Basra وحاولوا عدم العودة الى المدرسة مرة أخرى وبما انه كان ضعيفا جدا ، فقد بدأ يضع الأعذار لعدم عودتهم . وسوف أحاول جاهدا منعهم من عدم العودة . كان واضحا انه من المستحسن تعليمهم .

لقد وصل البراتس The Barratts (خلفا لدالى) كان من الناس المتميزين ، وكان طويلا ورفيعا ، ومظهره مظهر رجل جرىء ، أما زوجته فكانت ممتلئة الجسم رقيقة وسريعا ما اكتشفنا انهم «مجانين» حقا . لقد اعتقدت ان دى جرونير هو دالى ، وسائق الشيخ هو الشيخ وهذا تسبب فى بعض الارتباك ، وقد اخلى سبيل دالى فى ساعتين ثم استقل اللنش الى الطراد للذهاب الى البصرة ومن ثم الى بمباى Bombay ثم ممبسا Mombasa . حضر الشيخ مبكرا للتوديع وكان متأثرا جدا ، وكعادة البلاد العربية فقد حضر عدد قليل جدا من الناس للتوديع مع انه قام بأعمال عظيمة خلال الخمس السنوات التى قضاها . وكانوا دائما متحمسين للترحيب بالقادمين الجدد ، وسريعا ما ينسون كل ما يتعلق بالآخرين حتى قبل رحيلهم .

وانتقلنا الى المنزل الجديد حيث اصبح المنزل الآخر مزدحما ، وما زال رطبا ولكننا وضعنا أسرتنا فى الشرفة . كان المنزل فاخرا حيث لم أر مثله أبدا ، كان واسعا وفاخرا من الخارج أيضا .

أنا شخصيا اعجبت بالمقيم السياسى ، ولكنه رسميا رجل متباطىء غير محتمل . هؤلاء المسنون الحكوميون الرسميون هم مصدر أذى كبير ، وهو يرنو فى تمنياته الى « قومندور وسام نجمة الهند » التى سوف يحصل عليها بدون شك . وبعد الظهر ذهبت مع باسيت Bassett فى زيارة رسمية للشيخ حمد . وكان باسيت يرتدى الزى الرسمى ومعه سيفه . وقد استقبلنا الشيخ خارج القصر وكان يلبس الخنجر . طلب بريدوكس ان يقوم باسيت بسؤال الشيخ عن رأيه فى عودة العرب الذين كانوا مبعدين . (العرب المنفيين) . حاول دالى مرارا ان يبعد عودتهم قائلا ان عودتهم سوف تؤدى الى الدمار (الخراب) ، والآن هناك تآمر جار . وقد أدرك الشيخ هذا ، فاذا سمح لهم بالعودة . وحاول الشيخ ان يجعلنى أرد نيابة عنه ،

ولكن عندما لم أفعل أعتقد انه قد يكون أمرا مفيدا . وأنا نفسى كنت اعتقد انه جنون .

برحيل دالى وباحالة بريدوكس كمقيم سياسى أصبح هناك تطور وشىء من الغموض فى علاقة بريطانيا كقوة حامية ومسئولة عن العلاقات الخارجية ومحاكم المقيمين من غير البحرينيين من جانب وحكومة البحرين كولاية مستقلة من جانب آخر . وكما وضع السير « دنيس براى » سكرتير الشئون الخارجية فى الحكومة بالهند فى مذكرته عن شئون الخليج عام ١٩٢٩ ، « البحرين اصبحت مفتاح حجر الزاوية فى مركزنا بالخليج ... قصدنا هو اقامة الدليل . ان دولة عربية تستطيع ان تتقدم نحو خطوط الغرب تحت نفوذ حماية بريطانيا ثم ترتد الى طابعها العربى » . ذكرت المذكرة فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٩ « المقيم الجديد فى البحرين قوى جدا وقد استقل وأصبح لا شأن له مع الحكومة فى الهند » . بغلطة عمل عادية من موظفين متحمسين أو فترات من التغيير الخطير انتهت هذه العلاقة حتى استقلال البحرين التام الذى كان سابقا للاعلان الرسمى عام ١٩٧١ ، وتمت تصفية وضع المستشار تبعا لذلك ، وكما كتب فى مذكرته بتاريخ ١٤ سبتمبر : « رغبتى ان استطيع عمل شىء جميل مع باريت الذى يبدو انه من النوع الجرىء الذي لم يصادفه احد . وهو شخص طويل القامة رفيع البنية وجنتلمان انها سخافة لا تصدق » ولكن الاعتماد الأخير كان دائما على الجيش الهندي هناك في الخلفية . في اليوم التالي ، « كان يوما مشحونا بالعمل نستعد لوصول وانزال وتفريغ قوات بجابية ستبقى هنا مؤقتا . إن تنفيذ الاعدام (فى ليفى سوبادار) سيكون صباح يوم الثلاثاء وهؤلاء الرجال سوف يطلقون عليه الرصاص » . وقد حدث وانتهت حياة بعد عدة شهور أو سنوات اذا استطاع للانسان ان يستعمل هذا التعبير ليتضمن العودة الى المتاعب - مع تباين وفوارق الأجر أو مع أصحاب المحال التجارية فوق القانون الجديد فى سجل الأموات أو مصلحة الحكومة - يقع دائما الشعب ويوضع امام قبضة المستشار شخصيا وبكل قوته وجرأته واقدامه ورياضته فى اكسفورد وشخصيته السمحة ومذاقه الحساس لكل «صغيرة» . ولكن فى الأوقات العادية كان صبره وحكمته لا يرفعان صوته وتلك لمحة عن شخصيته التى جعلت منه شخصا مقبولا عند الاسرة الحاكمة والمواطنين عامة .

بعد الموافقة على مغادرته لمدة خمسة شهور عقب سنتين من العمل كتب الشيخ حمد : « هو أرضى شعبى بخدماته الجليلة التى قام بها من أجل بلدى وبخبرته العالية وسلوكه القويم . أشكره على الخدمة التى قام بها من أجل بلادى ومن أجل الرخاء الذى جلبه الى شعبى » . وليس طويلا بعد هذه المغادرة ان ولد له ابن فى منزل بالمحرق .

٢٢ ابريل عام ١٩٢٩ :

بدأت الولادة فى الساعة الواحدة ليلا . ذهبت بسيارة لاحضار الطبيب دكتور روتشافير ، ثم محكمة فى الصباح قمت بها وحدى لأن الشيخ سلمان لم يحضر وبقيت بالمكتب حتى أرسلوا لى ان الطفل قد تمت ولادته .

لقد كان دائما ينقص مارجورى شىء والآن اصبح كل من بلجريف ومارجورى والطفل سعداء . أحضر له الشيخ سلمان خروفين كبيرين ذبحا وتم توزيعهما على الجيران . هذا يحدث دائما ، ولو كانت بنتا لذبح خروف واحد فقط . المرضة اصابتها

الدوسنتاريا ! ماجليز ـ كل واحد يسأل عن « حمد » وكلهم مسرورون بالاسم .

المستشار له يد فى كل شىء وهنا الكثيرون يعتقدون انه جمع كثيرا من قوة السلطة فى يديه . ولكن يتضح من المذكرة وكذلك من جميع الأحداث التى جمعت ممن كانوا بالقرب من الأمور فى ذلك الوقت ومن الخطابات ، انه أدى عمله كشخص عليم مطلع وكان « مساعدا لا حاكما » . أما السلطة من أجل تقدم الحكومة فجاءت من الشيخ حمد .

المستشار لم يصدر أى أمر أو قانون ، ذلك كان يجرى فقط بواسطة الحاكم بعد استشارة قادة الشعب ولم يقم المستشار بأى تعيين ، أو يصرف روبية الا ما هو مخصص أو بكتاب من السلطة الحاكمة .

هما معا كانا فريقا فعالا له اثر جميل ، وبمرور الوقت ، انتهت السنوات العشر الأولى ووضعت الأسس لمعظم ملامح البحرين الطبيعية والاجتماعية التى هى سائدة الآن .

فى عام ١٩٣٧ كتب بلجريف فيما اتضح من حسابات وكيل الخراج ، « خلال العشر السنوات الأخير التغيرات والاصلاحات . التى أنجزت بواسطة الشيخ حمد عندما تولى السلطة بعد والده اصبحت ثابتة ، فى دول الخليج الأخرى ، تعتبر البحرين أكثر تقدما والرغبة فى التقدم نابعة من الشعب نفسه ، ولم يكن هناك اجبار عليهم من الحكومة . البحرين الآن من أكبر ١٢ دولة فى العالم منتجة للبترول علاوة على انها ذات قاعدة بحرية وموقع للخطوط الجوية .

التغيير المفاجىء من فقر الى وفرة يخلق المشاكل وحالات غالبا ما تكون صعبة التعامل معها . ثم تلك النتائج من الاحتياج الى الاقتصاد .

فترة من الرخاء العظيم زودت بالبترول لا تجف وتظهر الآن نابضة ... ولكن يجب تذكر ان الشىء الكثير الذى تحقق فى البحرين مثل قوة الكهرباء ، والطرق البحرية ، والممرات ، والمدارس ، والشئون البلدية وجدت قبل زمن البترول .